

خطبة الجمعة - الخطبة ٣٩٤ : خ ١ - سلسلة الأخلاق ١ (من كليات حب الحق وإثارة الصدق) ، خ ٢ - حاسة الشم.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٢-٠٥-٢٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الخطبة الأولى:

الحمد لله ثم الحمد لله ، الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كانا لنهدي لو لا أن هدانا الله ، وما توفيقي ولا اعتصامي ولا توكلني إلا على الله ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، إقراراً بربوبيته وإرغاماً لمن جد به وكفر ، وأشهد أنَّ سيدنا محمداً صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، رسول الله سيدُّ الْخُلُقِ وَالْبَشَرِ ، مَا اتَّصلَتْ عَيْنُ بَنْظَرٍ أَوْ سَمِعَتْ أَذْنُ بَخْرٍ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ ، وَعَلَى ذرِيَّتِهِ وَمِنْ وَالَّاهِ وَمِنْ تَبَعِهِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ، اللَّهُمَّ ارْحَمْنَا فَإِنَّكَ بَنَا رَاحِمٌ ، وَلَا تَعذِّبْنَا فَإِنَّكَ عَلَيْنَا قَادِرٌ ، وَالطَّفْ بَنَا فِيمَا جَرَتْ بِهِ الْمَقَادِيرُ ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

خلق الصدق أحد أبواب حب الحق وإثارة :

أيها الأخوة المؤمنون ؛ إشارة إلى الخطبة السابقة والتي كانت حول أن الإيمان في حقيقته خلق حَسَنٌ ، وأن النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنما بُعِثَ لِيَتَمَّ مَكَارِمُ الْأَخْلَاقِ ، وإلى أن أَكْمَلَ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانَهُمْ خَلْقًا . متابعةً لهذا الموضوع ، أَبْيَنْ لَكُمْ أَنَّ فِي الْأَخْلَاقِ كُلِّيَّاتٍ وَمُفَرَّدَاتٍ ، مُفَرَّدَاتٍ أَحَسَنُهُمْ خَلْقًا . لو ذهَبْنَا نَعْدُ عَنْ أَوْلَى الْمُوَافِقَاتِ الْخُلُقِيَّةِ ، لَوْجَدْنَاهَا كَثِيرَةً جَدًّا ، ولكنَّ هَذِهِ الْأَخْلَاقِ كَثِيرَةً جَدًّا ، إِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُلْخِصَهَا فِي كُلِّيَّاتٍ ، إِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُلْخِصَ مُفَرَّدَاتِ الْأَخْلَاقِ ، فَرُوعُ الْأَخْلَاقِ الْكَثِيرَةِ إِلَى كُلِّيَّاتٍ قَلِيلَةٍ ، فَنَجِدُ أَنَّ مِنْ هَذِهِ الْكُلِّيَّاتِ حُبُّ الْحَقِّ وَإِثْرَاهُ ، أَنْ تُحِبَّ الْحَقُّ ، أَنْ تُحِبَّ الْحَقِّيَّةَ ، أَنْ تُؤْثِرَهُ عَلَى هُوَ نَفْسَكَ . لِذَلِكَ الصَّدْقَ يَتَّبِعُ هَذِهِ الْكُلِّيَّةَ ، مِنْ نَقْصِ هَذِهِ الْكُلِّيَّةِ الْكَذْبُ ، شَهَادَةُ الزُّورِ ، التَّنَافِقُ ، الرِّيَاءُ ، عَشَراتٌ بَلْ بَضْعُ عَشَراتٍ مِنَ الْانْحرافَاتِ الْخُلُقِيَّةِ تَرْجِعُ إِلَى كُلِّيَّةٍ وَاحِدَةٍ أَلَا وَهِيَ حُبُّ الْحَقِّ وَإِثْرَاهُ ، أَحَدُ أَبْوَابِ حُبِّ الْحَقِّ وَإِثْرَاهُ خَلْقُ الصَّدْقِ .

فيما أيها الأخوة المؤمنون ؛ يجب أن نعلم علم اليقين أنه لو حلَّ الصدق في معتقداتنا ، وفي أفعالنا ، وفي مواقفنا محلَّ الكذب ، لاختفتَآلاف المشكلات ، لفُضَّتَ مئات المُنَازَعَاتِ ، لذُلِّتَ أَكْثَرَ الْعَقَبَاتِ ، لو نهَجْنَا مِنْهُجَ الصِّدْقِ الَّذِي يَعِدُ كُلِّيَّةً كَبِيرَةً مِنَ كُلِّيَّاتِ هَذِهِ الْدِينِ ، أَحَدُ الْأَسْسِ الْحَضَارِيَّةِ الَّتِي يَبْنِي عَلَيْهَا هَذِهِ الْدِينِ : الصَّدْقُ ، وَالصَّدْقُ مَوْضِعٌ طَوِيلٌ ، مُتَشَعَّبٌ ، لَكِنَّ أَخْذَ الْقَلِيلِ خَيْرٌ مِنْ تَرْكِ الْكَثِيرِ .

تعريف الصدق :

يا أيها الأخوة الأكارم ؛ بعض العلماء يعرّف الصدق بأنه : قول الحق . والحق ما كان ثابتاً ، ما كان موجوداً ، الشيء الثابت المستمر هو الحق ، فالكلام الذي يعبر عن الحق هو الصدق . بعضهم قال : الصدق هو القول المطابق للواقع والحقيقة . أي قولٍ طابق الواقع فهو صدق ، وأي قولٍ خالف الواقع فهو كذب ، الواقع هو الأساس . ولقد بيّنت لكم من قبل أن المقوله إذا وافقت الواقع فهي حق ، وإذا افتقرت إلى برهان فهي تقليد ، فإذا لم يغلب عليها القطع ، فهي ظنٌ أو وهمٌ أو ما إلى ذلك ، فالحق ؛ ما خلا من الوهم والظن والشك ، وما أيدَه الدليل ، وما وافقه الواقع .

أيها الأخوة الأكارم ؛ بعضهم يعرّف الصدق بأنه : القول الذي يطابق اعتقاد المتكلم . هذا التعريف غير صحيح ، لأن المتكلّم قد يعتقد خطأً ، فإذا جاء قوله مطابقاً لما يعتقد فهو صادق عند الناس ، لكن هذا الكلام ليس مطابقاً للواقع ، فإذا ذهبنا هذا المذهب ، فقد جانبنا سواء السبيل، يؤكّد ذلك قول الله عز وجل :

﴿إِذَا جَاءَكُمُ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهُدُ إِنَّكُمْ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكُمْ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهُدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكاذِبُونَ﴾

[سورة المنافقون : ١]

قالوا كلاماً صحيحاً ، وقلوا كلاماً مطابقاً للواقع ، لكنهم لم يعتقدوا ذلك ، إذاً كيف يُحل هذا الإشكال ؟ يحل بالطريقة التالية : هناك صدق الكلام ، وصدق المتكلّم ، فإذا طابق الكلام اعتقاد المتكلّم ، فالمتكلّم صادق ، وإذا طابق الكلام الواقع والحقيقة ، فالكلام صادق ، يجب أن نفرق بادئ ذي بدء بين صدق المتكلّم وصدق الكلام ، والذي يعني صدق الكلام مطابقته للواقع ، هذه الآية تبيّن بوضوح أنه قد ينطق الإنسان بالحق ، وقد لا يكون صادقاً فيما يقول ، أي حينما يخالف قوله اعتقاده ، وقد يكون صادقاً مع نفسه ولكن كلامه لا يطابق الواقع ، مما هو الصدق إذاً الصدق أن يطابق الكلام اعتقادك والواقع معاً ، وإلا فهو أحد أنواع الكذب ، أن يطابق الكلام اعتقادك والواقع والحقيقة معاً .

موضوع الكذب والصدق من أخطر الموضوعات في حياة الإنسان :

أيها الأخوة الأكارم ؛ إلى القرآن الكريم فيه الشفاء ، يقول الله عز وجل :

﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾

[سورة النحل : ١٠٥]

من هم الكاذبون ؟ الذين يفترون الكذب ويعلمون أنهم كاذبون ، يعلمون أنهم كاذبون ويقولون بخلاف ما يعلمون ، إذاً هم سماهم الله عز وجل الكاذبون ، لا أريد أن أُعدّ الأمر عليكم ، إنما

الأمر على الشكل التالي : لا تكون صادقاً إلا إذا عبرت عما تعتقد ، ولا تكون صادقاً مرة ثانية إلا إذا جاء اعتقادك مطابقاً للواقع ، لو حلّ الصدق محل الكذب لكننا في حالة غير هذه الحال . أيها الأخوة الأكارم ؛ تعقيبٌ صغيرٌ متعلقٌ بهذه الناحية ، هناك من يُفتي بغير علم ، وهناك من يُفتي بخلاف ما يعلم ، كلاهما على خطأ كبير ، وكلاهما في انحرافٍ خطير ، ولكن الذي يُفتي بغير علم خطأ علمي ، أما الذي يُفتي بخلاف ما يعلم ، يعلم الحقيقة ويُفتي بخلافها ؛ تحقيقاً لمصلحةٍ ، أو لمأربٍ ، أو لمكانةٍ ، أو لكسبٍ ، هذا يُفتي بخلاف ما يعلم يرتكب خطأين بوقتٍ واحد ، خطأ علمي ، وخطأ أخلاقي .

أيها الأخوة الأكارم ؛ يقول الله عز وجل :

(وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِطْارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكُ وَمَنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكُ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمَمِينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذْبُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ)

[سورة آل عمران : ٧٥]

هذا خطأ علمي وخطأ أخلاقي في وقتٍ واحد .

(وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذْبُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ)

[سورة آل عمران : ٧٥]

أولاً أيها الأخوة ؛ تطبيقاً لهذه الحقيقة الخطيرة ، يجب أن تسعى أن تعتقد ما هو واقع ، ويجب أن تقول ما تعتقد ، إن قلت ما تعتقد ، ولكن عقيدتك ليست موافقةً للواقع فكلامك كذب ، أنت صادق فيما تقول ، ولكن كلامك لا يطابق الواقع ، فأنت كاذب في قولك ، وإن اعتقدت اعتقاداً ، وإن قلت كلاماً موافقاً للحق والحقيقة ، لكنك لا تعتقد به فأنت كاذب .

فهناك كذبان : أن تتكلم بخلاف ما تعتقد ، وأن تعتقد بخلاف ما هو واقع ، وهذا شيءٌ خطير جداً ، لأن حياتنا الأبدية متوقفةٌ على الصدق - بعد قليل سيأتي حديثٌ يعد من أدق الأحاديث ، لأن الصدق يهدي إلى البر والبر يهدي إلى الجنة - فموضوع الكذب والصدق من أخطر الموضوعات في حياة الإنسان ، فيجب أن تعتقد ما هو مطابقٌ للواقع ، ويجب أن تتطق بما تعتقد ، أن يطابق اعتقادك الواقع ، وأن يطابق كلامك ما تعتقد .

الاعتقاد الفاسد سبب الهلاك الوبييل :

هناك حالة فرعية ، وهي تستتبع من قوله تعالى :

(وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ)

[سورة النحل : ٣٨]

لعلهم صادقون فيما يقسمون ..

(لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ)

[سورة النحل : ٣٨]

هكذا يعتقدوا ؛ أن هذه الدنيا هي كل شيء ، وليس بعدها شيء ، وأن الموت نهاية الإنسان .

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمْوَتْ بِلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَكَنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ﴾

[سورة النحل : ٣٨ - ٣٩]

هذه حالة فرعية . إن اعتقدت عقيدة لا تستند إلى واقع ، ولا إلى دليل ، ولا إلى حجّة ، ولا إلى برهان ؛ قد تكون صادقاً مع نفسك ، قد يكون قوله مطابقاً لعقيدتك ، ولكن هذه العقيدة تفتقر إلى البراهين ، تفتقر إلى الحجّ ، تفتقر إلى الأدلة ، عندئذ سوف ترى بعد حين أنك كنت كاذباً فيما تعتقد ، سوف ترى بعد حين أن هذه العقيدة التي انطلقت من خلالها إلى أهوائك لم تكن صحيحة . أيها الأخوة الأكارم ؛ ماذما أقول لكم ؟ قد تتطلق من فكرة ، وتتطلاق بها إلى كثيرٍ من المعاصي ، وأنت لا تدري ، فإذا جاء الحساب العسير رأيت أن اعتقادك الفاسد هو سبب هذا الهلاك الوبيـل ، قبل أن أتحرّك ، قبل أن أقول : ليس علينا في الأميين سبيل . قبل أن أقول : إن الله لا يحاسبنا حسـاباً عسـيراً . قبل أن أقول : إن النبي عليه السلام والسلام لن يدخل الجنة حتى يشفع لكل أمنـته، هـكذا بـسـدـاجـةـ من دونـ أنـ نـفـهـمـ حـقـيقـةـ الشـفـاعـةـ ، قبلـ أنـ تـعـتـقـدـ اعتـقـادـاً زـائـغاًـ ، وـيـدـفـعـكـ هـذـاـ الـاعـتـقـادـ إـلـىـ انـحرـافـاتـ سـلـوكـيـةـ ، سـوـفـ تـحـاسـبـ عـلـيـهاـ حـسـابـاًـ عـسـيرـاًـ ، قبلـ أنـ تـقـعـلـ ذـلـكـ ، عـدـ لـلـأـلـفـ كـمـ يـقـولـونـ ، بلـ عـدـ لـلـمـلـيـونـ ، إـنـ هـذـاـ عـلـمـ دـيـنـ فـانـظـرـوـاـ عـمـنـ تـأـخـذـونـ دـيـنـكـ ..

((ابن عمر دينك إنك لحمك ودمك خذ عن الذين استقاموا ولا تأخذ عن الذين مالوا))

[من كنز العمال عن ابن عمر]

كذب الأفعال :

أيها الأخوة المؤمنون ؛ ملخص هذه الفقرة الأولى من الخطبة ، كذب الأقوال عدم مطابقة الكلام الواقع ، أو عدم مطابقة الكلام لما تعتقد ، هناك متكلّم كاذب يتكلّم بخلاف ما يعتقد ، وهناك كلام كاذب لا يطابق الحقيقة ، ولن تتجوّل من عذاب الدنيا وعذاب الآخرة إلا إذا اعتقدت اعتقاداً صحيحاً ، وعبرت عن هذه العقيدة تعبيراً صادقاً ، أما الشيء الأخطر فهو كذب الأفعال ، هذا عن كذب الأقوال فماذا عن كذب الأفعال ؟ أنت قد تكذب دون أن تتكلّم ، طبعاً كمثل صارخ سمعته مرة أن رجلاً يعمل في دلالة البيوت ، فأراد أن يبيع بيته في الليل ، فطلب الصلاة وصلّى باتجاه الشمال ، موهماً أن هذا البيت نحو القبلة ، ما تكلّم شيئاً ، ما تكلّم كلمة إلا أنه صلّى ، صلاته هذه من أفحـنـوـاعـ الـكـذـبـ ، كـذـبـ الـأـفـعـالـ لـاـ كـذـبـ الـأـقـوـالـ ، وـفـيـ حـيـاتـاـ آـلـافـ الـمـوـاـفـقـ ، صـادـقـ ، سـاـكـتـ ، صـامـتـ ، لـكـنهـ يـفـعـلـ فـعـلـاًـ يـكـذـبـ فـيـهـ ، لـذـلـكـ الـعـلـمـاءـ فـرـقـوـاـ بـيـنـ النـفـاقـ وـبـيـنـ الـرـيـاءـ ، النـفـاقـ كـذـبـ فـيـ الـأـقـوـالـ ، وـأـمـاـ الـرـيـاءـ فـكـذـبـ فـيـ الـأـفـعـالـ ، الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ جـمـعـ بـيـنـ كـذـبـ الـأـقـوـالـ وـكـذـبـ الـأـفـعـالـ بـقـصـةـ يـوـسـفـ عـلـيـهـ الصـلـاـةـ وـالـسـلـامـ :

﴿وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عَشَاءَ يَبْكُونَ * قَالُوا يَا أَبَانَا﴾

[سورة يوسف : ١٦-١٧]

هذا كذب الأقوال ..

﴿أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكَنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذَّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾

[سورة يوسف : ١٧]

والآن كذب الأفعال :

﴿وَجَاءُوا عَلَىٰ قَيْصِيهِ بِدَمِ كَذْبٍ قَالَ بَلْ سَوْلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبَرْ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَنُ عَلَىٰ مَا تَصْفُونَ﴾

[سورة يوسف : ١٨]

يا أيها الأخوة الأكارم ؛ عندك قماش سيء جداً ، تصنع منه بنطالاً وترتديه ، فإذا شاهدك الشاري ، اشتريت من هذا القماش فهذا دلالة عند الشاري على أنه قماش جيد ، تسكك ولكنك ترتدي مثل هذا القماش ، أنت لم تكذب في لسانك ، ولكن هذه الطريقة أردت بها أن توهم المشتري أن هذا القماش من أعلى أنواع الأقمشة ، لو أردت أن تدقق فيما يقع فيه الكذب في الأفعال ، لوجدت حياتنا مفعمةً بكذب الأفعال ، وقد قالوا : كذب الأفعال أشد خطراً من كذب الأقوال ، لأن الفعل يقبله الإنسان بأسرع مما يقبل الكلام .

أيها الأخوة الأكارم ؛ شيء آخر يعد من الكذب : التعبيرات الحركية . قد يأتي مريض إلى عند طبيب ، قد عولج عند طبيب آخر ، الطبيب لا يتكلم ولا كلمة ولكن يتحول ، ويتأوه ، ويرفع يديه ، ويرفع حاجبيه ، وكأنه يتبرم بهذه المعالجة التي عولج بها المريض عند زميله ، هذا نوع من أنواع تغيير الحقيقة ، فلذلك التعبيرات الحركية ؛ تعبيرات اليد ، تعبيرات العين ، تعبيرات الحاجب ، تعبيرات الرأس هذه كلها ، قد تعرض على تاجر قماشاً ، أو صنفاً ، أو بضاعة ، يتائفف ، يتحول ، يسكت ، لا يهتم ، وتكون البضاعة جيدة جداً ، لكن يريد أن يضعف من قيمتها حتى يشتريها بشمن بخس ، هذا كله أنواع من الكذب .

أيها الأخوة الأكارم ؛ المؤمن لا يكذب ، ويربح ، ويرزقه الله عز وجل رزقاً حلالاً من دون أن يغير الحقائق ، من دون أن يزور ، من دون أن يدلّس ، من دون أن يوهم . . حب الحق وإثارة كليةٌ كبرى من كليات هذا الدين ، أحد مظاهرها الصدق ، صدق المتكلم ؛ أن يتكلم وفق ما يعتقد ، وصدق الكلام ؛ أن يأتي الكلام مطابقاً للواقع ، وصدق الأفعال أن تكون حركاتك وإيماءاتك ، ونظراتك ، وحواجبك ، وجبينك ، وحركة رأسك ، كلها تعبر عن حقيقة واقعة، وعن شيء ثابت لا يتغير .

الكذب خلقٌ سيئٌ طارئٌ يشوّه فطرة الإنسان :

أيها الأخوة الأكارم ، ما دام الشيء خطيراً جداً إلى هذه الدرجة جاء أمرٌ إلهيٌ واضحٌ ، قطعي الدلالة ، قال :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾

[سورة التوبة : ١١٩]

إذا كنت مع الصادق ، فالصادق يُنبئ بالصدق ، يُنبئ بالحقيقة ، يُنبئ بكلام مطابق للواقع ، يُنبئ بعقيدة صحيحة ، يُنبئ باتجاه صحيح ، بذلك على طريق الخير ، كن مع الصادق ، إن كنت مع الكاذب أضلك ، وهداك إلى طريق جهنم ، هداك إلى طريق الانحراف ، هداك إلى طريق الكذب ، هداك إلى طريق التدليس ، هداك إلى طريق التناحر للقيم الثابتة التي جاء بها الإسلام ، فلذلك :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾

[سورة التوبة : ١١٩]

وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه إذا شعر كذباً من يلوذ به ، قاطعه أشهرأ طويلاً ، لم يكن من خلق يوم النبي عليه الصلاة والسلام كخلق الكذب ، لأن الكذب لا عهد له ، ولا وعد له ، ولا يصدق فيما يقول ، ولا يعتمد عليه ، ولا يتكل عليه ، فهو مصدر خطٍّ ، مصدر غشٍّ ، مصدر خداعٍ .

أولاً : من فضل الله علينا ، ومن حكمته البالغة أن الكذب ليس من أخلاق الإنسان الفطرية ، انظر إلى الأطفال يؤثرون الصدق ، يتکلمون الحقيقة من دون مواربة ، من دون تدليس ، من دون لف ودوران ، الحقيقة على ألسنتهم ، إلا إذا نشأ الطفل في بيئه منحرفة ، رأى أنه تكذب على أبيه ، رأى أنه يكذب على أمه ، رأى أنه إذا صدق نال عقاباً شديداً ، فإذا كذب نجا من العقاب . البيئة المنحرفة ، التربية السيئة ، الأهواء والشهوات ، الاعتياد ، هذه كلها من أسباب الكذب ، فإذا رُبِّيَ الطفل على الكذب نشأ أكبر الكاذبين ، فالكذب ليس فطرة بل هو خلقٌ سيئ طارئ يشوّه فطرة الإنسان ، يؤكد هذا قول النبي عليه الصلاة والسلام :

((يطبع المؤمن على الخال كلها إلا الخيانة والكذب))

[الدر المنشور عن أبي أمامة]

يؤكد هذا آية أخرى ، وهي قوله تعالى :

﴿فَاقْرِمْ وَجْهَكَ لِلَّدِينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيْمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾

[سورة الروم : ٣٠]

أي أنَّ هذه النفس البشرية مصممة ، مجبولة ، مفطورة على حب الحق وإيثاره ، والإيمان هو الحق ، والصدق هو الحق ، وأداء الشهادة على وجهها هو الحق ، فطبيعة النفس مجبولة على

حب الحق ، والكذب مرضٌ يصيب هذه النفس ، لأسباب ذاتية ، وأسباب اجتماعية ، وأسباب بيئية ، وأسباب تربوية .

سعادة المجتمع أساسها الصدق وهلاك المجتمع أساسه الكذب :

أيها الأخوة الأكارم ؟ كيف تتصورون مجتمعاً يغش فيه الكذب ؟ المجتمع من الاجتماع ، من أن يكون الناس مع بعضهم بعضاً ، متشابكون في مصالحهم ، في علاقاتهم ، في أخذهم وعطائهم ، في بيعهم وشرائهم ، المجتمع البشري قائمٌ على علاقاتٍ بشرية ، وأساس هذه العلاقات الكلمة ، فاما أن تكون هذه الكلمة صادقة ، إذاً هذه العلاقات تصبح وتمو ، وإما أن تكون هذه الكلمة كاذبة وهذه العلاقات تقصد وتسوء .

ربما لا تصدقون أن قيام المجتمع ، سلامة المجتمع ، تقدّم المجتمع ، تماسك المجتمع ، سعادة المجتمع أساسها الصدق ، وإن انحل المجتمع ، وانهيار المجتمع ، وتفتت المجتمع ، وانحطاط المجتمع ، وهلاك المجتمع أساسه الكذب .

إليكم هذه الأدلة : نقل المعارف ، إن لم تكن واثقاً من أن كاتب هذه المقالة صادقاً فيما يكتب ، لعله ينتفع من جهة فيها حمل هذه المادة ، ويبين أنها ضارة بالصحة ، وهذا الضرر وهي من أجل أن يمنع بيع هذه المادة ، وتروج المادة البديلة ، فإذا فشا الكذب حتى عند الكتاب ، وحتى عند الباحثين ، وحتى عند العلماء ، سحب الثقة من أي شيءٍ تقرؤه ، حتى في نقل المعارف لو فشا الكذب لضعف الثقة بالكلام المكتوب .

كلما قرأت شيئاً ؛ لعل هذه المقالة تقييد هذه الجهة ، لعل هذا البحث يفيد هذه الجهة ، لعل هذا البحث يروج هذه البضاعة ، فإذا انعدم الصدق عند الكتاب ، وعن الباحثين ، وعن العلماء ، فاقرأ على الأمة السلام ، لأن هذا يدعو إلى الشك في أي شيءٍ تقرؤه . وإذا ضعف الصدق في نقل الأخبار والواقع ، صار كل خبر يحتاج إلى تدقيق ، وإلى تمحيص ، وإلى شك ، وإلى تكذيب ، دخلنا في متأهاتٍ لا تنتهي .

وإذا دخل الكذب في الوعود والعقود ، صار كلام الإنسان حبراً على ورق لا قيمة له ، فلق لا حدود له ، خوف لا حدود له .

فتتصور مجتمعاً قائماً على الكذب ؛ لا عهد ولا وعد ، ولا خبر ولا واقعة ، ولا تاريخ ، ولا معرفة ، ولا ثقافة ، كل شيءٍ ينهار ، حتى الدعاوى والشهادات ، ترى أن القضاء يُرْهَق بالدعوى الكاذبة ، وشهاد الزور ، والافتراءات ، والخصومات المُفْتَلَة ، فتستهلك الأمة استهلاكاً رخيصاً إذا فشا الكذب ، فلذلك الكذب يؤدي بالمجتمع إلى الانحلال والتفكك والتخلف الحضاري والخراب والدمار ، وإذا رأيت مجتمعاً يهوي فاعلم أن الكذب أحد أسباب هذا الهويّ ، وإذا رأيت مجتمعاً يصعد فاعلم أن الصدق أحد أسباب هذا .

حديث صحيح يُعد العمود الفقري في موضوع الصدق :

أيها الأخوة الأكارم ؛ إليكم الحديث الصحيح الشريف الذي يعد العمود الفقري لهذا الموضوع ، يقول عليه الصلاة والسلام فيما رواه الإمام البخاري ومسلم : ((إن الصدق يهدي إلى البر ، وإن البر يهدي إلى الجنة ، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقاً ، وإن الكذب يهدي إلى الفجور ، وإن الفجور يهدي إلى النار ، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عن الله كذاباً))

[متفق عليه عن عبد الله بن مسعود]

الرواية الثانية :

((عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر ، وإن البر يهدي إلى الجنة ، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً ، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار ، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب ، حتى يكتب عند الله كذاباً))

الصدق ؛ إذا ألمت نفسك أن تعتقد ما هو صحيح ، ما هو واقع هداك الصدق إلى عقيدة صحيحة ، فإذا ألمت لسانك أن ينطق بما تعتقد وبما هو واقع ، نجوت من آفات اللسان ، من الكذب والغش والنمية والغيبة ، وقول الزور والبهتان والفحش ، والكفر والكفر ، وإذا ألمت فعلك أن يكون مطابقاً لما تعتقد ، ولما هو واقع نجوت من كذب الأفعال ، فالبر كلمة جامعة لكل الخيرات ؛ الصدق في العقيدة ، وفي الأقوال ، وفي الأفعال ، لذلك قال عليه الصلاة والسلام :

((عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر ، وإن البر يهدي إلى الجنة ، وما يزال الرجل يصدق ، ويتحرى الصدق حتى يكتب الله صديقاً ، وإن الكذب يهدي إلى الفجور))

الاعتقاد الفاسد يؤدي إلى عمل سيئ والعمل السيئ يؤدي إلى النار :

إذا اعتقدت اعتقاداً كاذباً أن الله لا يحاسب خلقة ، أو أن هذه الدنيا هي كل شيء ، هذا الاعتقاد الفاسد يدفعك إلى أن تأخذ منها كل شيء ؛ بحق أو بباطل ، بما هو مشروع ، وبما هو غير مشروع .

إذا الاعتقاد الفاسد يؤدي إلى عمل سيئ ، والعمل السيئ يؤدي إلى النار ، قضية سهلة جداً ؛ اعتقاد صحيح ، كلام صحيح ، سلوك صحيح ، النهاية إلى الجنة . اعتقاد فاسد ، كلام كذب ، سلوك مُرائي ، النهاية إلى النار ، أساسات الجنة والنار الصدق والكذب ، صدق فيما تعتقد ، صدق فيما تقول ، وفيما تفعل ، كذب فيما تعتقد ، عقيدة زائفة ، فاسدة أساسها منحرف ، إذا ينتج عنها سلوك منحرف ، وينتج عن هذا السلوك الهلاك في الدنيا ، والشقاء في الآخرة .

أيها الأخوة الأكارم ؛ يقول عليه الصلاة والسلام :

((إذا كذب العبد تباعد منه الملك ميلاً من نتن ما جاء به))

[الجامع الصغير عن ابن عمر]

((كبرت خيانة أخاك حديثاً هو لك به مصدق وأنت له به كاذب))

[الدر المنثور عن التواس بن سمعان]

أصحاب الحرف ، أصحاب الحرف الراقية يقعون في هذا المطّب ، هو يصدق وأنت تملّي عليه ما هو موافق لمصلحتك لا لمصلحته ، هو يصدق .

((كبرت خيانة أخاك حديثاً هو لك به مصدق وأنت له به كاذب))

[الدر المنثور عن التواس بن سمعان]

ومن يصدق أيضاً أنك إذا سمعت قصة ، أو إشاعة ، أو رواية ورويتها كما سمعتها من دون بحث ، من دون تدقيق ، من دون دليل ، من دون دراسة ، من دون فحص للمتكلّم ، من دون فحص للرواية ، إذا سمعت كلاماً ، ونقلته للناس هكذا ، فأنت كاذب ، والدليل قول النبي عليه الصلاة والسلام :

((كفى بالمرء كذباً أن يحدث الناس بكل ما سمع))

[الجامع الصغير عن ابن عمر]

أين الرقابة ؟ أين التصفية ؟ أين البحث ؟ أين التدقيق ؟ أين التأمل ؟ قبل أن تروي هذه القصة عن فلانة ، هذا المتكلّم قد يكون كاذباً ، أو قد يكون موهوماً ، أو قد تكون فلانة ليست التي تقول عنها أنت ، لابد من أن تتحقق ، من أن تدقق ..

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بَنَبَأَ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِين﴾

[سورة الحجرات : ٦]

فالكذب خيانة ، ونقل المسموعات من دون تدقيق ، من دون بحث ، من دون دراسة ، من دون تحليل أيضاً أحد أنواع الكذب ، والكذب سبب كبير إلى شقاء الدنيا والآخرة ، والصدق سبب كبير إلى سعادة الدنيا وسعادة الآخرة .

الصدق أحد أركان الإيمان :

أيها الأخوة الأكارم ؛ المؤمن لا يكذب ، فإذا كذب فقد أثبت أنه ليس مؤمناً ، يطبع المؤمن على الخال كلها إلا الخيانة والكذب ، لا تكذب ، يأتيك المال من طريق مشروع لا تكذب ، لا تكذب تعيش مع أهلك حياة سعيدة ، لا تكذب ، الكذب طريق إلى كل الشرور والآثام وحينما يكذب الإنسان ضعفت همته .

يروى أن أمّاً أرسلت ابنها ليطلب العلم في بغداد ، أرسلت معه مبلغاً من المال ، ففي الطريق وقف في طريقه قطاع الطريق ، فسألوه : أمعك مال يا غلام ؟ قال : نعم . فعدوا كلامه سخفاً واستهزأ فتركوه . في مقطع آخر من الطريق ، خرج عليه قطاع الطريق - طبعاً هو مع قافلة

- فسألوه : هل معك مال يا غلام ؟ قال : نعم . قال : كيف تصدق وفي هذا هلاك لمالك ؟ قال : عاهدت أمي على ألا أكذب . فوقف هذا كبير قطاع الطريق وقال : أنت تخشى أن تخون عهدهك مع أمك ، وأنا أخون عهدي مع الله ، اشهد يا غلام أني تبت على يديك . فهذا الموقف الصادق لفت نظره ، غلام لا يكذب !!

أيها الأخوة الأكارم ؛ في البيع والشراء ، في العلاقات كلها ، كن صريحاً ، كن واضحاً ، غير عن الواقع كما هو ، قد تشعر بداعي ذي بدء أن في العملية إرهاقاً ، وحرجاً ، لكن الله أغلى عليك من هؤلاء الذين تكذب عليهم .

أيها الأخوة الأكارم ؛ الصدق أحد أركان الإيمان .

((عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر ، وإن البر يهدي إلى الجنة ، وما يزال الرجل يصدق ، ويتحرى الصدق حتى يكتب الله صديقاً))

[الدر المنشور عن أبي بكر]

والحمد لله رب العالمين

* * *

الخطبة الثانية :

أشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين ، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله ، صاحب الخلق العظيم ، اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

حاسة الشم :

أيها الأخوة الأكارم ؛ من مِنَا يصدق أن في أنفه عشرين مليون خلية عصبية مخصصة لحاسة الشم ، هذه الخلايا العصبية العشرين مليوناً تتركز وتتمرّكز في القرن العلوي للألف ، بمساحة لا تزيد على مئتين وخمسين مليمتراً مربعاً ، هذه الخلية العصبية التي تعد عشرين مليوناً لها أهداب لا تقل عن سبعة أهداب ، هذه الأهداب عليها سائل مخاطي فيه مواد دهنية مذيبة ، هذا السائل المخاطي الذي فيه مواد دهنية مذيبة تتفاعل مع الرائحة تفاعلاً كيميائياً ، فينتج عن هذا التفاعل شكل هندسي متميّز ، يتشكّل تبعاً لطبيعة الرائحة .

فرائحة الزهور مثلاً الشكل الهندسي الناتج عن تفاعಲها مع أهداب خلايا الشم شكل مفتاح ، أو على شكل مستطيل ، أو على شكل حوض سباحة ، وهكذا كل تفاعل بين الرائحة وبين الأهداب الشمية ذات الخاصة المذيبة ، والتي تتفاعل مع الرائحة تفاعلاً كيميائياً ، هذا الشكل الهندسي يرسل إشارةً عن طريق العصب الشميّ الذي يتوضع في الوجه إلى مركز الشم في الدماغ . الدماغ يستطيع أن يميّز بين عشرة آلاف رائحة ، لا أن يميّز ، يميّز ويترعرّف ، في الدماغ ذاكرة شمية ، فإذا شم رائحة ، تفاعل مع أهداب الشم ، وشكلت شكلاً هندسياً ، أرسل إشارة إلى الدماغ ، الدماغ عنده عشرة آلاف رائحة ، يمررها على كل رائحة ، رائحة رائحة ، إلى أن

تطابق هذه مع تلك يقول : هذا الياسمين ، أو هذا الفُل ، أو هذا الزنبق . . . إلخ ، فكيف يعرف الإنسان الرائحة ؟ لها شكل ، وهذا الشكل يعرض على كل الروائح في الدماغ ، فإذا وافق واحدة عرف أن هذه رائحة كذا ، وهذا يتم في لمح البصر .

أيها الأخوة الأكارم ؛ يقول العلماء : إن هذه الأهداب فيها خصائص عديدة ؛ إنها تستطيع استشعار رائحة في تركيزٍ قليلٍ جداً ، نصف بالمليون من الميلي غرام في السنتيمتر المكعب ، هذه الأهداب تستشعر هذه الرائحة ، وتنتقلها إلى الدماغ ، ويعرف عليها ، ويقول : أسم الرائحة الفلانية . ولا تنسوا أن الإنسان عنده وسائل تَعْرِفُ للمحيط الخارجي ، فالعين ترى ، لكن هناك أشياء لا تراها ، وأنت في البيت ، أو أنت في المركبة ، تسمعها ، السماع خط دفاع آخر ، لكن هناك أشياء لا تراها ولا تسمعها ، لو أن فارة ماتت في البيت ، ما الذي يشعرك بوجودها ؟ لا صوتها ، ولا شكلها ، فهي تحت السرير ، ولكن رائحتها ، فكأن الله جل في علاه جعل من الرائحة إشعاراً للإنسان بدقائق المحيط الخارجي ، هذا من فضل الله تعالى على الإنسان . فعشرون مليون خلية ، وكل خلية لها سبعة أهداب ، والهُدُبُ عليه سائل مخاطي ، فيه مواد دهنية مذيبة تتفاعل مع الروائح تفاعلاً كيماوياً ، فينتج من هذا التفاعل شكل هندسي ، يرسل إشارة إلى الدماغ ، الذي يميّز بين عشرة آلاف رائحة ، ودرج هذه الرائحة على كل الروائح تباعاً إلى أن تعرفها ، فتقول : هذه كذا . وأن تركيز الرائحة نصف بالمليون من الميلي غرام في السنتيمتر المكعب ، يكفي أن تشم هذه الرائحة .

﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾

[سورة الذاريات: ٢١]

الدعاء :

اللهم اهدا فينا هديت ، وعافنا فيمن عافت ، وتولنا فيمن توليت ، وبارك لنا فيما أعطيت ، وقنا واصرف عنا شرّ ما قضيت ، فإنك تقضي بالحق ولا يقضى عليك ، إنه لا يذل من واليت ، ولا يعز من عاديت ، تبارك ربنا وتعاليت ، ولك الحمد على ما قضيت ، نستغفر لك ونتوب إليك ، اللهم هب لنا عملاً صالحاً يقربنا إليك . اللهم أعطنا ولا تحرمنا ، أكرمنا ولا تهنا ، آثرنا ولا تؤثر علينا ، أرضنا وارض عنا ، اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك ، ومن طاعتكم ما تبلغنا بها جننك ، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا ، ومتعنا اللهم بأسماعنا ، وأبصارنا ، وقوتنا ما أحبتنا ، واجعله الوراثتنا ، واجعل ثرثنا على من ظلمتنا ، وانصرنا على من عادانا ، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ، ولا تسلط علينا من لا يخافك ولا يرحمنا ، مولانا رب العالمين . اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا ، ودنيانا التي فيها معاشرنا ، وأصلاح لنا آخرتنا التي إليها مردنا ، واجعل الحياة زادنا من كل خير ، واجعل الموت راحة لنا من كل شر ، مولانا رب العالمين . اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك ، وبطاعتك عن معصيتك ،

وبفضلك عمن سواك . اللهم لا تؤمنا مكرك ، ولا تهتك عنا سترك ، ولا ننسنا ذكرك يا رب العالمين . اللهم استر عوراتنا ، وآمن رواعتنا ، وآمنا في أوطاننا ، واجعل هذا البلد آمناً سخياً رحرياً وسائل بلاد المسلمين . اللهم إنا نعوذ بك من الخوف إلا منك ، ومن الفقر إلا إليك ، ومن الذل إلا لك ، نعوذ بك من عصال الداء ، ومن شماتة الأعداء ، ومن السلب بعد العطاء . اللهم ما رزقتنا مما نحب فاجعله عوناً لنا فيما تحب ، وما زويت عنا ما نحب فاجعله فراغاً لنا فيما تحب . اللهم صن وجوهنا باليسار ، ولا تبذلها بالإفتار ، فنسأله شرّ خلقك ، ونبتلى بحمد من أعطي ، ونم من منع ، وأنت من فوقهم ولهم العطاء ، وبيدك وحدك خزائن الأرض والسماء . اللهم كما أفررت أعين أهل الدنيا بدنياهم فأقر أعيننا من رضوانك يا رب العالمين . اللهم بفضلك وبرحمتك أعل كلمة الحق والدين ، وانصر الإسلام وأعز المسلمين ، وخذ بيدهم إلى ما تحب وترضى ، إنك على ما تشاء قادر ، وبالإجابة جدير .

والحمد لله رب العالمين